

الدائرة صفر

عملية طوفان الأقصى

تاريخ الإصدار: 07 تشرين الأول / أكتوبر 2023

W.A.R.C
West Asia Research Center

" طوفان الأقصى " يدخل كيان العدو في "الدائرة صفر"

بعملية متقنة ومعقدة وعلى مرحلتين أطلق عليها القائد العام لكتائب القسام اسم "طوفان الأقصى"، ساهم في نجاحها اعتماد الخداع الاستراتيجي والتكتيكي في آن واحد، تمكنت المقاومة الفلسطينية من توجيه ضربة كبرى للعدو، وذلك بتنفيذ سلسلة من العمليات من البر والبحر والجو، أدت في النهاية إلى الاطاحة بالأمن الصهيوني في معظم غلاف غزة إلى حدود 35 كيلومتراً، بعدما تمكنت 7 سرايا باستعداد 1111 مقاتل من اجتياح كل المستوطنات والمواقع الثكنات العسكرية المحاذية لغلاف غزة دفعة واحدة.

- ماذا حققت العملية من نتائج تعبوية واستراتيجية؟
- ماذا راكمت العملية من حصاد على طريق القدس؟
- ماذا حفرت في الوعي الصهيوني؟
- ما هي التداعيات والتوقعات المحتملة لعملية "طوفان الأقصى"؟.

أولاً: الجذور التأسيسية لعملية "طوفان الأقصى"

لا يمكن قراءة عملية "طوفان الأقصى" إلا من خلال العودة إلى اليوم الذي تلا معركة "سيف القدس" حيث بدأت المقاومة تُراجع الدروس المستفادة وتعيد صياغة الاستراتيجية الكبرى التي أعدتها وفقاً للعبء المستخلصة وتقييم الأداء على جميع المستويات (التكتيكي - التعبوي - الاستراتيجي)، وخلال سنتين وأربعة أشهر حافلة بالاختبارات وعمليات دراسة مكونات العقل العسكري الصهيوني بعد سيف القدس، قامت المقاومة بتنظيم لائحة أولويات ترتقي بالأداء العام إلى المستوى الذي شهدناه فجر 7-10-2023، فضلاً عن رسم خارطة طريق جهادية تأخذ الأحداث إلى حيث أرادت المقاومة اليوم، عندما قامت تجريدة¹ عسكرية باستعداد 1111 مقاوم من مختلف الصنوف بإعداد هذه القطعة العملياتية الباهرة.

بداية أعادت المقاومة ترميم عديدها الذي نرفته في معركة سيف القدس بكادر متجانس ومحترف، ثم أعادت تدوير ما استثمرته من عتاد في معركة سيف القدس وفق ما انتجته قراءة وتقييم الدروس المستفادة، وما استخلصته المقاومة من عبر. فأدخلت أسلحة جديدة معظمها من النوع الكاسر للتوازن، وأعدت ترتيب طرائق القتال وعناصر المناورة (بالنار - وبالنار والحركة)، وصاغت خلال 29 شهراً منهجاً لمنازلة العدو وفق الشروط الثلاثة التالية:

1. عدم قطع الاشتباك مع العدو، وتولت الضفة الغربية تحقيق هذا الهدف.
2. العمل على تحقيق الهدف الأقصى وهو التحرير.
3. تثبيت فكرة أن العدو صاحب القوة الغاشمة لديه من الثغرات والنقائص ما يجعله قابلاً للهزيمة، وتعميم هذه الفكرة لدى جميع الفلسطينيين في الداخل والشتات.

خلال فترة التحضير، اتكأت المقاومة على عنصرين ماديين أساسيين: الإعداد والتجهيز ورفع كفاءتهما إلى أعلى مستوى ممكن.

¹ مجموعة من المقاتلين يتراوح عديدها ما بين كتيبة ولواء.

من الأسود المنفردة إلى خيار الضفة المشتبكة:

بداية وخلال التحضير لإمساك الضفة الغربية راية "عدم قطع الاشتباك مع العدو"، اعتمدت المقاومة على ظاهرة الأسود المنفردة في عمق كيان العدو، وخلال 6 أشهر أفقدت العدو توازنه وخلخت تفكيره وإجراءاته التخطيطية لاستيعاب الظاهرة، وكلنا يذكر عمليات (يافا- بني براك - الخليل - ديزينغورف - القدس - حاجز مخيم شعفاط... الخ)، وغيرها من العمليات التي جعلت رأس العدو سريع الدوران ولكن بغلّة فارغة. في المرحلة الثانية، أطلقت المقاومة العمل المسلح الفردي والجماعي في الضفة الغربية المحتلة معتمدة على (جنين - طولكرم - اريحا - نابلس)، فشهدنا عمليتي جنين وآخرهما عملية بأس الأحرار، وشهدنا مواجهات الحارة القديمة في نابلس وتصديات طولكرم وعمليتي أريحا التي أذاق فيها المجاهدون الويل لوحداث النخبة الصهيونية التي كانت تهزم دائماً أمام إرادة القتال والروح المعنوية العالية للمقاومين.

تثبيت قواعد منظومة "وحدة الساحات" المفردة والجماعية:

ومع كل تطور في الانجازات كانت تظهر بوضوح علائم التنسيق المعلوماتي بين جميع أركان المحور من (أسلوب القيادة والسيطرة - إلى إدارة المناورة بالنار - إلى دراسة ردات فعل العدو وكيفية التصرف وجره إلى ردات فعل متوقعة - إلى فرض استراتيجيات عدم الخروج عليه، تسمح بحرمانه حتى من الادعاء بالنصر في المعارك الثلاث الكبرى التي شنها وهي "وحدة الساحات" و"ثأر الأحرار" في غزة، و "بأس الأحرار" في جنين. وفي اختبار محور المقاومة لظروف المعارك غير الملائمة في المرحلة الافتتاحية، تمكن مجاهدو سرايا القدس منفردين، يؤازرهم معظم عناصر المحور مجتمعين كاحتياط، وفي مناسبتين متفرقتين من تحقيق إنجاز باهر في عمليتي "وحدة الساحات" و "ثأر الأحرار"، واستطاعت غرفة عمليات فصائل المقاومة من إدارة عملية مناورة كبيرة بالنار في أوقات لم تتعدّ الـ 100 ساعة.

عملية الخداع الاستراتيجي:

طبقت كتائب الشهيد عز الدين القسام في طريقها من معركة "سيف القدس" إلى معركة "طوفان الأقصى"، سلسلة من عمليات الخداع التكتيكي والتعبوي التي راكمتها يوماً فيوماً وحدثاً فحدثاً، حتى ظنّ العدو أن الكتائب أصبحت راضية بحالة الستاتيكو التي اعتقد ساسة العدو أنهم استطاعوا فرضها على كتائب القسام، فيما كانت الكتائب تحقق الانجاز تلو الآخر في حرب المخادعة التي صدّقها العدو، حتى ركز كل جهده على سرايا القدس وكتائب شهداء الأقصى في الضفة الغربية، التي تقصدت كتائب القسام أن توحى له أنها تعمل كخزان للاستشهاديين فقط في الضفة، ومن أبرز عمليات الخداع:

1. الدخول بعباءة سرايا القدس في معركتي "وحدة الساحات" و "ثأر الأحرار".
2. التركيز على القيادات التي تدير عمل القسام في الضفة الغربية دون غيرها في غزة.
3. الإيحاء للعدو بأن هناك انقسام داخل غرفة الفصائل في غزة.
4. عدم الانجرار إلى ردات الفعل التي كانت تحاول قيادات العدو العسكرية جذب كتائب القسام إليها، من خلال 11 استهدافاً مدفعياً وجوياً لنقاط رصد ميداني تابعة للقسام.

5. التركيز على الانجازات الدعائية والاستعراضية التي تحقق خداع العدو بأن القسام لا تريد حرباً في السنوات الخمس التي تلي "معركة سيف القدس"، وتأكيد ذلك من خلال إقناع العدو بأن الكتائب في صدد بناء بنية عسكرية في لبنان.
6. معاودة تنظيم مسيرات العودة وكسر الحصار على سياج غزة والتي كانت أكبر عمليات الخداع للعدو، حيث أن مخطو القسام وضعوا خلال الاسابيع الأربعة التي اعدوا فيها إحياء تلك المسيرات الشعبية المدنية فيما كانت وظيفة المخططين القساميين ميدانياً وضع آخر التعديلات على خطتهم التي أطلقوها صبيحة يوم السبت 2023-10-7.
7. الصمت الهادر الذي مارسه قياديو حماس وكتائب القسام خلال الصيف، واقتصروا فيه خلال عمليات التصريح للإعلام على شخصيات تم اختيارها جيداً لإيصال الرسائل ولإيهام العدو أن من يعتبرهم "مشاغبين" قد تم تحييدهم.
8. الخدعة الكبرى التي تمت أمس خلال مهرجان تأسيس حركة الجهاد الاسلامي التي تبادلت فيها قيادتي الجهاد والسرايا من جهة وقيادتي حماس والقسام من جهة أخرى رسائل مشفرة على الهواء مباشرة لم يفهما العدو إلا صباح هذا اليوم، عندما كان المقاومون يعودون بصيدهم الوفير بعد تمزيق غلاف غزة شر تمزيق.

الاستفادة من حالة الانقسام لدى العدو:

أثرت حالة الانقسام الداخلي لدى العدو على الجيش الصهيوني بشكل كبير، فتحول إلى جيش محترف شبه مقطوع الرأس، فتعززت لا مركزية قيادة المناطق في الجيش وأصبحت كل منطقة تدير قطعة من هذا الجيش حسب رأي وهوى قائدها، وقدّر الباربي أن قائد منطقة وفرقة غزة "نمرود آلوني" هو القائد الفعلي الذي يخبره قادة المقاومة كما يخبرون راحة كفهم، فهم خاضوا معه 5 حروب في لبنان وفلسطين، ويفهمون كيف يتصرف وكيف يخطط وأدق التفاصيل عنه. كما أثرت حالة الانقسام على حالة الحافزية والاستعداد والرد المرن والسريع لدى قطعات كبيرة في هذا الجيش، مما عاظم مصيبته لدى أول اشتباك له فجر اليوم مع المقاومين.

ثانياً: عملية "طوفان الأقصى"

عند الساعة السادسة والنصف من صباح يوم السبت 2023-10-7 شنت مجموعات من كتائب الشهيد عز الدين القسام وبعد قصف تمهيدي استمر لأكثر من 20 دقيقة هجوماً مركباً على مستوطنات ومواقع وثكنات غلاف غزة، واستطاعت في الدقائق الـ 15 الأولى من الهجوم الإطباق على 14 مستعمرة وموقع وثكنة عسكرية وتطهيرها بالكامل.

عند انتهاء المرحلة الأولى من الهجوم التي تولت تنفيذها عناصر من نخبة أسلحة البر والجو والبحر وسلاحى الهندسة وضد الدروع في كتائب القسام ومجموعات الاعلام العسكري الذين وثقوا العملية من البر والبحر والجو. أطلقت كتائب القسام وفصائل المقاومة المرحلة الثانية من العملية، حيث تقدم المئات من أفراد الكتائب بواسطة سيارات نقل ودرجات نارية إلى المواقع والثكنات والمستعمرات المحررة، حيث تمكنت من إجلاء عدد كبير من الأسرى الأحياء

والأموات، وعلى رأسهم قائد فرقة غزة الجنرال نمرود آلوني، الذي تم أسره وعناصر حراسته من منزله في مستعمرة أوفاكيم.

العملية السريعة والخاطفة وضرب معظم عناصر منظومة القيادة والسيطرة والاتصالات في فرقة غزة، تسببت بعمى تام لجيش العدو، كما تسببت بتحييد ساحي الجو والمدفعية، وبدأت الصدمة من خلال انعدام ردات الفعل لدى كبار جنرالات العدو، فضلاً عن أعضاء الكابينيت الصهيوني الذي كانوا يفتقدون أي تصور فعلي للواقع خلال أكثر من 6 ساعات متواصلة.

ثالثاً: ردود الفعل في كيان العدو

ردود الفعل في الحكومة

لدى ظهوره عند الساعة الثانية عصرًا، وفي أول تعليق له على عملية "طوفان الأقصى"، قال رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو بعد جلسة تقدير وضع عقدها في وزارة الأمن: "نحن في حالة حرب، وليس في عملية ولا في جولة قتال، نحن في حرب، شنت حماس هذا الصباح هجومًا مفاجئًا ضد دولة إسرائيل ومواطنيها، منذ الصباح عقدت اجتماعًا مع قادة المؤسسة الأمنية وأمرت بتطهير البلدات من المخربين، هذه العملية تنفذ في هذا الوقت وموازاة ذلك أمرت بتجنيد احتياط واسع، العدو سيدفع ثمنًا لا يتصوره". وكشف نتنياهو أن حكومته ستعقد جلسة استثنائية عند الساعة 17:00 عصرًا.

وقد استمر الاربك حتى ما بعد الظهر، حيث بدأت طائرات العدو العامودية استهداف بعض ابراج الرصد، وفي الوقت الذي كان فيه شعب غزة يحتفل بمجاهديه العائدين بأسراهم وغنائمهم، لوحظت عمليات فرار جماعية من المستعمرات التي تلي غلاف غزة، ولاحقًا أخلت الجبهة الداخلية المستعمرات والمدن الجنوبية بعمق 35 كيلومتراً من غلاف غزة، وجرى نقلهم على عجل إلى مناطق إيواء آمنة.

وتتالت ردود فعل السياسيين والمسؤولين في كيان العدو على الشكل التالي:

- أطلع السكرتير العسكري لنتنياهو، رئيس المعارضة يائير لابيد على الوضع، وقال إن إسرائيل في حالة طوارئ، وتقرر حصول لقاء بين نتنياهو ولايبيد بعد اجتماع الكابينيت.
- أبلغ لايبيد السكرتير العسكري لنتنياهو أنه يقدم الغطاء لأي رد عسكري شديد.
- أعلن مكتب وزير الأمن أنه يتلقى تحديثات منتظمة حول الأحداث الأمنية، وسيجري تقييمًا للوضع مع كبار المسؤولين في المؤسسة الأمنية.
- أعلن وزير الأمن عن تجنيد واسع للاحتياط.
- أجرى رئيس الأركان جلسة تقدير وضع في وزارة الأمن.
- أعلن الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي أن حركة حماس نفذت عملية مشتركة شملت إطلاق قذائف صاروخية وتسلسل مقاتلين إلى الأراضي الإسرائيلية، وأضاف أن الجيش الإسرائيلي سيحمي سكان إسرائيل، وأن حماس ستدفع ثمنًا باهظًا جدًا.
- أعلن الجيش الإسرائيلي عن وضع الاستعداد لحرب (الاعلان عن الحرب من صلاحيات الكابينيت)

- أعلنت قيادة الجبهة الداخلية حالة الطوارئ من حدود قطاع غزة حتى منطقة غوش دان.
- هدد مسؤول في الجيش الإسرائيلي بأن كل مسؤولي حماس ستتم تصفيتهم في الحرب.
- حذر وزير في حكومة العدو من أنه "يوجد احتمال معقول أن يكون الحادث في الجنوب مجرد إلهاء عن حرب في الشمال"، وأضاف أنه "من غير المستبعد أن يتم جذب الجيش الإسرائيلي إلى الجنوب حتى يتمكنوا من توجيه ضربة قوية وأكثر إيلاًماً في الشمال، يبدو الأمر وكأنه حدث استراتيجي مخطط له بقيادة إيران، وهذا وضع لم تشهده إسرائيل منذ عشرات السنين".
- جاء في بيان مشترك لقيادة المعارضة يائير لابيد، بني غانتس، أفيغدور ليرمان، وميراف ميخائيلي: "نحن جميعاً متحدون في وجه الإرهاب وعلينا أن نضربه بيد قوية وحازمة، في مثل هذه الأيام لا توجد معارضة أو ائتلاف في إسرائيل، سنقدم الدعم الكامل لقوات الأمن لرد حاد وقاس ضد التطرف ورساله".
- أعلن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي البدء بعملية "السيوف الحديدية" ضد حركة حماس في قطاع غزة، وأضاف أن قادة كبار من الجيش الإسرائيلي توجهوا إلى منطقة العمليات.

ردود فعل الخبراء والمعلقين الصهاينة:

- انتقد معلقون إسرائيليون المتحدثين باسم الحكومة الذين ينتقدون الجيش الإسرائيلي وأجهزة الاستخبارات، ودعواهم لأن "يُغلقوا أفواههم" لأن إسرائيل الآن في حالة حرب.
- انتقد معلقون آخرون الجيش الإسرائيلي، وقالوا إنه بعد ساعات من بدء الحرب في المؤسسة الأمنية والعسكرية "لا يفهمون ما الذي يمثّل أمامهم".
- قال معلقون إن مستوى القيادة الأرفع للجيش الإسرائيلي لا يعرف ماذا يفعل حتى الآن.
- استهزأ معلقون بالجيش الإسرائيلي وقالوا "يبدو أن قوات فرقة غزة تبخرت".
- وصف معلقون الجيش الإسرائيلي بأنه "جيش عدم الدفاع عن إسرائيل".
- دعا معلقون إسرائيليون وزير الأمن ورئيس الأركان للاستقالة فوراً.
- أشار معلقون إلى أن مسؤولي حماس موجودون عميقاً في المخابئ، خشية من رد الجيش الإسرائيلي، لذلك سيكون من الصعب تنفيذ تصفيات نوعية، فيما "العدو مستعد".
- ذكّر معلقون إسرائيليون بكلام سماحة أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله قبل سنوات، عن خطته لاقتحام الجليل بواسطة قوة الرضوان، والسيطرة على أراض ومستوطنات أثناء إطلاق صواريخ، وأضافوا أنه يبدو أن حماس تبنت الخطة.
- رأى معلقون أن حركة حماس لن تشن هجوماً كالذي بادرت إليه، من دون تغطية من إيران وحزب الله، وأضافوا أن حماس نسقت تحركاتها مع حزب الله وإيران في اجتماعات في بيروت وطهران في الأسابيع الأخيرة.

- رأى معلقون أن حركة حماس استعدت للحدث بشكل جيد، فهذا الهجوم يتطلب تخطيطات وثقة وكفاءة تشغيلية وخداعاً استخبارياً وقدرة على القيادة والسيطرة.
- نبه معلقون إلى أن إسرائيل ينتظرها أياماً معقدة وصعبة أكثر مما شهدته هذا الصباح.
- دعا معلقون للتأكد من أن لا يتسع الهجوم إلى لبنان أو سوريا.
- قال معلقون إن حركة حماس انتصرت في هذا الحدث، فواقع النجاح في مفاجأة أفضل الاستخبارات في العالم والسيطرة على حدث لعدة ساعات لن يمحى بسرعة من وعي لاعبين في المنطقة.
- أشار معلقون إلى أن ظهور عناصر حماس بوجوه مكشوفة داخل المستوطنات، وحرصهم على إرسال مادة مرئية كثيرة إلى غزة من داخل الأحداث، سببه أنهم يدركون أن هذا يشكّل سلاح وعي كاسر للتوازن.
- أكد معلقون أنه يوجد في هذا الهجوم "مفاجأة استخبارية"، وأضافوا أنه "عندما يتم مفاجأتك، يوجد ثمن باهظ".
- ردة فعل الجمهور الصهيوني كانت عنيفة جداً وتتراوح بين الغضب على عدم كفاءة جيشهم وبين السخرية والاستهزاء وقد سجلت مواقع التواصل الاجتماعي عدداً كبيراً من ردات الفعل نذكر منها:

- هذا الصباح صعب، حماس أعلنت الحرب على إسرائيل
- ضربة حماس الافتتاحية هي إعلان حرب على إسرائيل:
- بعد 50 عاماً من حرب يوم الغفران، إسرائيل تفاجأت (مرة ثانية).
- ما يجري هو مشاهد حرب شوارع.
- السكان في المستوطنات خائفون ومصدومون ومحبطون.
- نفذت حماس السيناريو المرعب الذي كان متوقعاً من الساحة الشمالية أيضاً.
- ما حصل هو فشل مخز.
- الجيش الإسرائيلي غفى أثناء نوبة الحراسة.
- في الجيش الإسرائيلي لم يعلموا شيئاً ولم يستعدوا لشيء.
- ما حصل لم يكن أحد محضراً له ولا حتى يتوقع حدوثه.
- الحدود سائبة، مقاتلو حماس يخرجون من غزة بآليات ويعودون إليها، والجيش الإسرائيلي اختفى.
- إسرائيل فوجئت بتوقيت العملية وبحجمها وبمستواها.
- المستوى القيادي للمؤسسة الأمنية يجب أن يتم اقالته.
- المستوطنون يتهمون الجيش بأنه تخلى عنهم.
- تساؤلات عن سبب عدم استخدام "إجراء هنيئيل" لمنع خطف أي جندي.
- السؤال الأكثر تردداً من قبل المرسلين والمستوطنين: أين الجيش "الإسرائيلي".

تحليل واستشراف لخيارات حكومة العدو للرد على عملية "طوفان الاقصى"

يمكن القول أن العدو لا يستطيع إلا اللجوء للقوة الغاشمة لإعادة ماء وجهه الذي أريق صباح اليوم، إلا أن حجم الانجاز يستلزم محاذرة كبيرة من العدو في استخدام القوة، فالعدد الكبير من الأسرى الذين جرى توزيعهم على معظم قطاع غزة يجعل من تحريرهم أمراً شائكاً ويتطلب دقة عالية في المناورة بالنار، أو قد يتطلب عملية اعدام جماعية لهم من خلال استباحة قطاع غزة بالحديد والنار، وأي عملية برية قد يقدم عليها العدو قد تكلفه ثمناً باهظاً في الأرواح والعتاد ومغامرة بإدخال كل محور المقاومة للدفاع عن غزة المستباحة، ممكن أن يقوم بعمليات انزال دقيقة وموضعية لاستنقاذ بعض الاسرى لا كلهم مما يعرض حياة الباقين للخطر. يبقى أمامه تنفيذ عملية كبيرة لعدة أيام يجري التفاوض خلالها على تبادل الاسرى وأمور كثير عالقة، كما أن أي تصعيد في غزة قد يدفع الضفة وربما الخلايا النائمة في مناطق 1948 إلى التحرك وتوجيه ضربات مؤلمة للعدو.

باختصار ليس لدى نتنياهو إلا المغامرة بحرب جوية طويلة يتلقى فيها الطرفان ضربات اقل ايلاماً من اتخاذ نتنياهو لخيار العملية البرية، وقد يكون حل عملية برية استعراضية في منطقة رخوة في غزة هو الخيار الأوحده، فيكون قد حقق مطالب الجمهور واستعاد جزءاً من ماء وجهه المراق، وقد يستعين بالصدى الامريكى مرة أخرى لتنفيذ اتفاقية مذلّة للتبادل.

خلاصة واستنتاج:

- 1- ستودي العملية بحكومة نتنياهو بسبب تعاضم نفوذ المتشددين فيها الذين قد يدفعونه إلى خيارات انتحارية.
- 2- ستطرح العملية برؤوس كبيرة في المؤسسات الامنية والعسكرية وتجعل يد هذه المؤسسة التي تعتبر بمثابة دولة عميقة للكيان المؤقت ضعيفة، مما يحتم عليها التصرف قبل أن يهاجمها الائتلاف الحاكم.
- 3- المشاهد التي أبدع الاعلام العسكري للمقاومة بتوزيعها حول اذلال الجنود الصهاينة وعاقبتهم خلال عملية "طوفان الاقصى" ستجعل الجنود أكثر جبناً، مما سيؤثر حتماً على أي عملية عسكرية مقبلة.
- 4- أي تحريك للعمليات في الضفة والقدس سيؤكد الضعف المنظومي لكيان العدو، ويؤثر حتماً على أي خيار عسكري سيتخذه باتجاه غزة.
- 5- الذهاب الى حرب مفتوحة مع محور المقاومة غير ممكن بل مستحيل، لأنه سيدخل الولايات المتحدة بشكل مباشر في القتال وهذا ما تتجنبه واشنطن منذ سنوات، كما أنه غير مأمون العواقب بعدما أبدت جميع عناصر محور المقاومة استعدادها الفوري للدخول في المعركة.
- 6- تداعيات هذه العملية نسفت بالكامل فرصة التطبيع السعودي الصهيوني التي كانت تراهن عليها ادارة بايدن، وهذا ما سيضع خطأً أحمر بين السعودية والتقدم باتجاه التقارب مع العدو.